كيف نقرأ الإنجيل راهناً؟

نظام مارديني
post@albaladonline.com

ما يطرحه هذا الكتاب" **المعنى الصحيح لإنجيل المسيح**"، الصادر عن دار الفارابي، والذي اشترك في تأليفه مجموعة من البحاثة العرب، وأشرف عليه الأستاذ مظهر الملوحي، مستكملاً بذلك القرارات السابقة والمغايرة للكتاب المقدس، يستدعي سؤالاً جوهرياً، عن الدلالة التي تتوخاها هذه القراءة الجديدة؟ ليس من مبرر للتهيب الذي يواجهه القارئ وهو يتصفح أوراق هذا الكتاب، ما دام الأمر متعلقاً بترجمة النص المقدس. خصوصاً إذا كانت الترجمة تعبيراً عن فهم شخصي للنص وتأويل له تحمله صياغة شخصية في لغة غير لغته الأصلية، وبما تحمله الترجمة ذاتها من خطر على حسن أداء المعنى في لفظه وأسلوبه ومعناه، ويضاف الى الرؤى، المادية التاريخية، انتساب النص الديني الى جنس الكتابة الفنية المكنية، والكناية قائمة في الانجيل وفي القرآن معاً وإن بأسلوبين مختلفين. وهو ما يعيد السؤال الى مربعه الأول: لماذا جاءت هذه القراءة لمعاني ودلالات الانجيل؟ للاجابة عن هذا التساؤل، يمكننا تحديد أربع نقاط، تشكل اضافة جديدة للترجمات الكثيرة السابقة عليها: حاولت هذه القراءة الوصول الى المعنى والدلالة خلف الكلمة، لأن الفكرة روح والكلمة تجسيد للفكرة، أي لهذه الروح. وعندما تتجمد الفكرة عند الكلمات، يأتي دور المعنى والدلالة لهذه القراءة، التي أعطت الكلمات اتساعاً ومرونة لتمكين القارئ من إدراك ان الجملة المكتوبة ليست نهاية المطاف.

عملت القراءة على صياغة الكلمة طبقاً للحضارة والزمان والمكان. أي انها قامت مقام الجسر الذي يصل بين ما كتب منذ أكثر من ألفي عام وبين الحضارة الحديثة والأحداث اليومية، وكما قال أحد اللاهوتيين: انه يمسك الانجيل بيده اليمنى وبالصحيفة اليومية بيده اليسرى، محاولاً الاجابة عن التساؤلات المثارة في الصحيفة من خلال الكتاب المقدس. ولكن ذلك لا يمكن أن يحصل إلا من خلال الجسر الذي يلبي الاثنين. تمت اضافة بعض الحواشي لهذه القراءة، وأيضاً بعض المقالات التي تعالج مواضيع ذات أهمية كبيرة للقراءة، لا سيما بعد الاكتشافات التي حصلت عند علماء اللسانيات والاجتماع. حاولت هذه القراءة ان تقدم رؤية محايدة، لكي يتقبلها ويتفهمها المتحدثون بالعربية من دون الشعور بالغرابة. لا شك ان تعدد القراءات في النصوص الدينية أمر بديهي يستمد شرعيته من الملابسات التاريخية الحافلة بنشوئه المتصلة بتقبله وتدوينه، فالنص الديني كان دائماً في منطلقه نصاً شفوياً، كان شفوياً في نزوله وحياً فيه وشفوياً كذلك في تبليغه ونشره رسالة.

ومن هنا كان نصاً متعدداً بتعدد ما يعتريه في تنقله من تحريف وتغيير يكبر أو يصغر عن قصد أو عن غير قصد.

تمّ نشر هذا المقال في الجرائد اللبنانية التالية: النهار والمستقبل والبلد